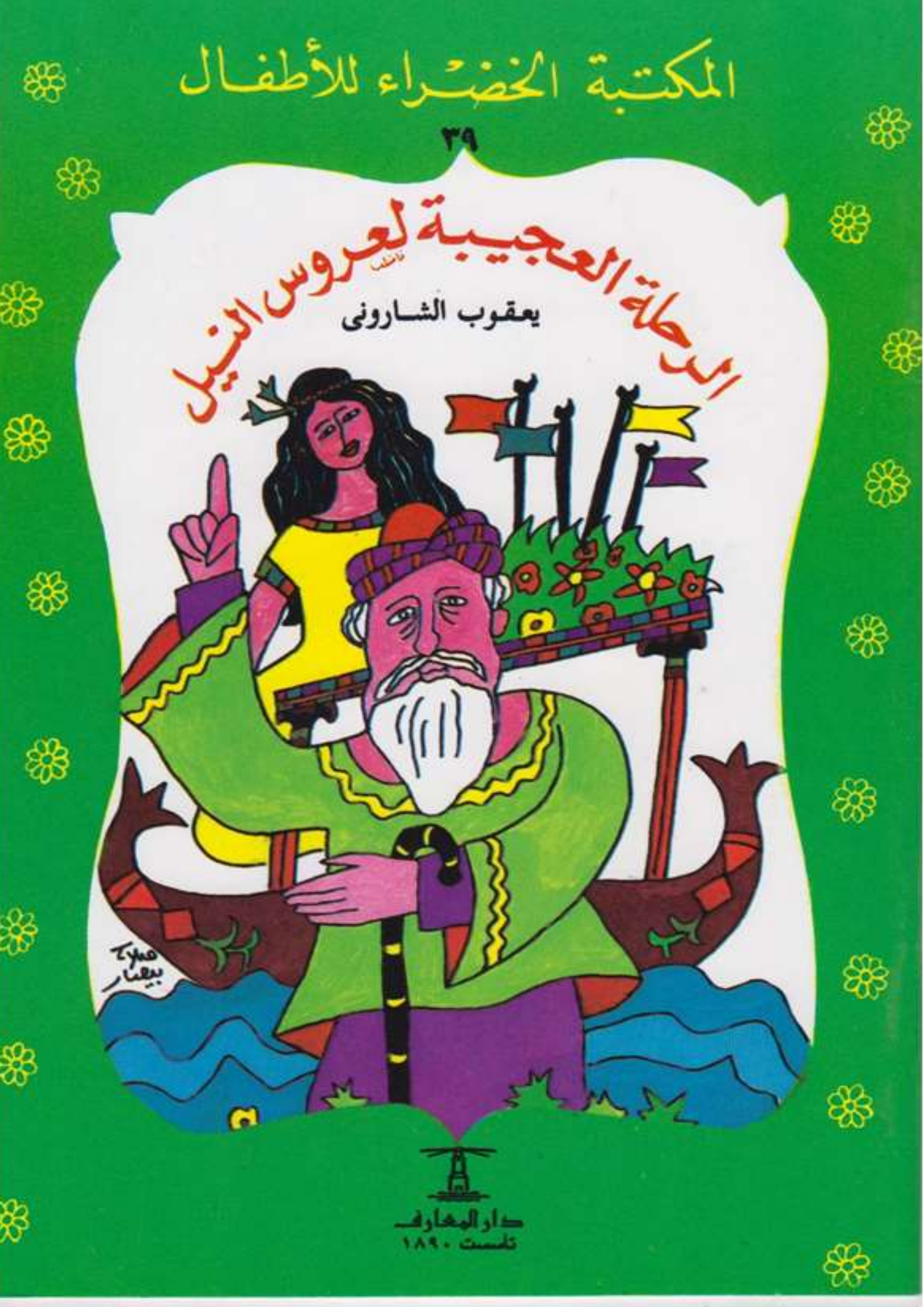

المكتبة الخضراء للأطفال
٣٩
الرحلة العجيبة لعروس النيل
يعقوب الشاروني
دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

" القصة البيئية الموجهة للأطفال واليافعين من خلال تجربتى الإبداعية "

دراسة يقدمها : يعقوب الشارونى

" القصة البيئية الموجهة للأطفال واليافعين من خلال تجربتى الإبداعية "

دراسة يقدمها : يعقوب الشارونى

أولاً : رواية " الرحلة العجيبة لعروس النيل " – دار المعارف – مصر

●● **التوازن البيئى :** البيئة التى تقوم فيها كل المُكَوِّنات بدورها ووظيفتها على الوجه الأكمل ، بما فيها من علاقة النشاطات البشرية بتلك المكونات ووظائفها ، تكون بيئة متزنة . أما إذا حدث خلل فى أداء أى مكون من مكونات البيئة ووظيفتها ، فإن النظام البيئى يفقد اتزانه، ويظهر هذا فى تدهور حالة البيئة .

وما فعله الإنسان فى البيئة خلال السنوات الثلاثين أو الأربعين الأخيرة ، فاق ما فعلته الكوارث الطبيعية خلال عشرة ملايين سنة ، مما أدى لحدوث خلل فى الاتزان البيئى ابتداء من النصف الثانى من القرن العشرين ، فأصاب الضرر كثيراً من مكونات الأرض ، الحية وغير الحية ، وغيرها من مكونات غير مادية مثل أنواع الطاقة كالضوء والحرارة ، أو طاقة الرياح ، وما يسود الإطار الذى يعيش فيه الإنسان من طقس ومناخ ورياح وأمطار وغيرها ، مما تسبب فى تدهور جودة حياة الإنسان ،

فالإنسان جزء من النظام البيئى ، يتفاعل معه ويؤثر فيه .

ولاســـتعادة جودة حياة الإنســـان ، ظهرت الدعوة إلى الحفاظ على البيئة ، عن طريق الإجراءات التى تنفذها الهيئات التابعة للدولة أو منظمات مستقلة ، للحد من التأثير السلبى على البيئة ، ووضع إجراءات تصحيحية للعودة إلى بيئة متوازنة .

●● **<u>دور الأدب القصصى فى زيادة الوعى البيئى</u> : لا شك أن إدراك الفرد والجماعة لأهمية سلامة البيئة ، وضرورة المحافظة على مقوماتها ، قد تزايد فى الوقت الحاضر** ، إذ أصبحت حياة الإنسان ورفاهيته ومؤسساته مرتبطة كل الارتباط بمصادر البيئة وصحتها ، يصدق هذا على الحاضر والمستقبل . ذلك أن اتصال حياة البشر فى ظل التنمية والتقدم ، يعتمد على حسن استغلال المصادر البيئية ، وترشيد استخدام عناصر الثروة الطبيعية .

وليس هناك من وســـيلة ناجحة للتعبير عن ذلك ، إلا زيادة الوعى الجماهيرى ، باســـتخدام مختلف الوســـائل الإعلامية ، وإدخال الاعتبارات البيئية فى النســـيج التربوى والثقافى للأطفال والفتيان فى مراحل تدرجهم فى التعليم ، وتعميق الوعى البيئى عند الصغار بحيث يرسخ فى تفكيرهم ، ويتحول إلى عناصر سلوكية تحافظ على البيئة ، وتراعى العلاقات الوثيقة بين حياة الإنسان وصحة البيئة .

– وقد ا ستقر رأى رجال التربية وعلماء النفس ، على أن الأ سلوب القـ صـ صى وأدب الأطفال والنا شئة ، أفـ ضل و سيلة نقدم عن طريقها ما نريد تو صيله للأطفال ، فالأ سلوب القصصى بما فيه من تشويق وخيال وربط للأحداث ، يمكن أن يكون الوعاء الذى نصب فيه كل ما نريد تقديمه للأطفال . إن للقصـــص دوراً هاماً فى التربية ، ســـواء من ناحية توجيه السلوك ، أو تنمية الخيال، أو تنمية الإحساس بالجمال ، أو إدخال المتعة .

كذلك فإن توجيه الأطفال ، بعد استماعهم إلى قصة أو قراءتها ، لرسم أحداث منها ، أو إعادة كتابتها ، أو تمثيل بعض مواقفها ، يساهم كثيراً فى تنمية خيال الأطفال وقدراتهم الفنية ، كما يعمق مضامين القصة فى وجدانهم ، وفى تأثيرها على سلوكهم .

لهذا تعتبر القـ صة الو سيلة الفنية المثالية التى لا بد من ا ستخدامها ، لكى نو صل ما نريد إلى الطفل من القيم والـ سلوكيات والاتجاهات ، ومن أهمها قيمة المحافظة على سلامة البيئة التى يعيشون فيها .

●● **قـ صة " الرحلة العجيبة لعروس النيل " :** تقول وزارة الثقافة المـ صرية ، فى كتابها الذى أ صدره المركز القومى لثقافة الطفل عام ٢٠٠٦ ، بعنوان : " الإبداع فى أعمال كاتب الأطفال يعقوب الشـــارونى " ، تحت عنوان : **المحافظة على البيئة وحمايتها من التلوث :** من الموضوعات والقضايا المهمة التى بدأ الاهتمام بها ، حماية البيئة من التلوث،

خاصـــــة بعد ظهور بعض الســــلوكيات الســـلبية لتلوث البيئة مثل تلوث نهر النيل ، وقطع الأ شجار، وتجريف التربة .. وقد حرص بعض الكُتاب على تنبيه الأطفال إلى المحافظة على البيئة ، مثل كاتبنا يعقوب الشارونى ..

ففى قصـــــة " الرحلة العجيبة لعروس النيل " ، وفى ثنايا الحكى ، يُظهِر الكاتب أهمية وفوائد نهر النيل والماء فى حياتنا ، كما يـ شير إلى مظاهر تلوث النيل وأ ضرار ذلك .. ولا يقتصر على ذلك ، بل يهيئ ذهن القارئ للحلول المختلفة لهذه القضية.

– وقد اختارت معاهد جوته الألمانية هذه الرواية القصـــيرة ، كأفضــــل عمل موجه للأطفال فى مجال حماية نهر النيل ، فيقول الدكتور ريتشــــارد كونتســـل مدير معهد جوته بالقاهرة : فى أسطورة " الشجرة الهاربة " لجيرهارد فابيان – مؤلف قصص الأطفال الألمانى – نقرأ عن زيزفونة قد صممت على الرحيل ، لأن جذورها قد تـ سممت بفعل البـ شر ، ومعها رحلت جميع النباتات والحيوانات .. وأسوأ من ذلك ، رحل جميع الأطفال .

ومجتمع يخلو من الأطفال ، مجتمع بلا أمل .. وقد كان هذا النداء الموجه إلى البشــــر للحفاظ على الطبيعة التى هى عماد حياتهم ، حافزاً قوياً لكاتب قصـــــص الأطفال المصــــرى الأستاذ يعقوب الشارونى ، أن يؤلف قصة " الرحلة العجيبة لعروس النيل " ، إذ لا يوجد على سطح الأرض بلد يعتمد اعتماداً كليــّاً على المنحة الوحيدة التى وهبته إياها الطبيعة ،

مثل اعتماد مصر على النيل ، فيهبُّ الأطفال المصريون لنجدة نيلهم ، مانح الحياة لكل فرد فى هذا البلد الجميل ، وهذا هو الهدف الأهم ... إنها قصة تدعونا إلى التأمل والتمعن .

وقام معهد جوته بالقاهرة (المعهد الألمانى) بإنجاز طباعة القصـــة ، وتوزيعها على مكتبات المدارس المصرية ، بالتعاون مع المركز القومى لثقافة الطفل .

" وتتضمن الرواية إشارة إلى بعض مصادر تلوث ماء النيل ، مثل : شلال من زجاجات البلاستيك ، والأكياس المملوءة بالقمامة التى أصبحت بسببه رائحة الماء غير طبيعية.. أيضًا مخلفات مصانع الأسمنت والنفايات والعلب الفارغة . ويقول المركز القومى لثقافة الطفل: "من خلال إ شارة الكاتب لأ سباب التلوث ، يفهم الطفل وي ستوعب أ سباب هذا التلوث، وبالتالى يتجنبها من أجل المحافظة على ماء النيل نظيفًا " .

وي ضيف المركز القومى لثقافة الطفل : " والكاتب لا ينا شد الأطفال فقط ، لكن ينا شد أيضًا الفلاحين الذين يستحمون فى ماء النيل ويغسلون ملابسهــم وكذلك حيواناتهم . كما يناشد أصحاب المصانع والسفن الذين يلقون فى النيل بالنفايات ومخلفات المصانع وأكياس البلاستيك والقمامة والعلب الفارغة ومخلفات الـ سفن والمبيدات الحـ شرية والأ سمنت ، ليتجنبوا فعل كل ذلك " .

– إن هذه الرواية القصيرة ، تضع المجتمع كله ، منذ أول سطر فيها ، فى موضع المسئولية ، لإحداث التغيير المرتبط بمختلف جوانب الأنشطة الإنسانية المرتبطة بمياه النيل .

– تبدأ القصة بأصدقاء خمسة من البنات والصبيان الصغار ، تجمعوا فى حديقة منزل واحدة منهم تطل على النيل . وهناك سمعوا صوت بكاء يثير الشفقة .. وكانت المفاجأة هى اكتشافهم أنه بكاء صادر عن " عروس النيل " ، التى يشبه نصفها الأسفل ذيل سمكة ، وقد خرجت من النهر تبكى ، بعد يومين فقط من الاحتفال بوفاء النيل الذى نزلت فيه إلى أعماق النهر .

وتحكى عروس النيل كيف قابلتها بقية عرائس النيل بغير ترحيب ، لأنهن غاضبات من العالم الذى جاءت منه ، فقد أصبح يهدد حياة النهر العظيم . وأَخَذْنَها معهن فى رحلة داخل ماء النهر ، لتكتشف عشرات من أنواع التلوث الذى يحاصر عناصر الحياة داخل الماء ، من أسماك ونباتات وغيرهما .

وتنتهى الرواية والأصدقاء يقولون فى تصميم : " سنذهب إلى كل الناس ونسألهم : ماذا يجب أن نفعل لكى نحافظ على صحة نهرنا العظيم ، بعد أن تسببنا فى إصابته بالمرض ؟ " .